

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ
يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا
وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}

أَمَّا بَعْدُ

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ
مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ

ثم يا معاشري الفضلاء في فجر السبت و في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم نواصل شرحنا لكتاب العقيدة
الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عز وجل و سائر علماء المسلمين، وهذا الكتاب من أعظم ما يُتعلَّم ومن
أعظم ما يُدرس فإن فيه مسائل العقيدة الكبرى، وفيه وصف ربنا سبحانه وتعالى، ومن المعلوم أن شرف العلم يظهر بما
يتعلق به، وهو في هذا الباب علم عظيم حيث يتعلق بحق ربنا سبحانه وتعالى، وقد تقدم بيان عقيدة أهل السنة
والجماعة من حيث الجملة، وأنها عقيدة محمد صلى الله عليه وسلم، وأجمع عليها أهل القرون الثلاثة المفضلة، فأجمع عليها
سلف الأمة، فلم يأت في الكتاب غيرها، ولم ينطق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بها، ولم يعرف الصحابة ولا
التابعون ولا الأئمة إلا هي، ثم بدأ شيخ الإسلام يبين ويفصل عقيدة أهل السنة والجماعة ليعينها ويثبتها وليدلل عليها
وليبين أن أصولها وتفصيلها في كتاب الله، وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنها هي التي يجب أن يعتقدوها
المسلم، فبدأ البيان بأعظم سورة في القرآن بعد سورة الفاتحة، ألا وهي سورة الإخلاص وسورة التوحيد التي فيها أصول
الإيمان بالأسماء والصفات أصول توحيد الأسماء والصفات، أصول أهل السنة والجماعة في هذا الباب، وفيها تفصيل لبعض
الصفات وأصول الصفات، ولم يأت فيها أن المراد بها غير ظاهرها، وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، فعلم يقيناً أن
الصفات يؤمن بها على ظاهرها، وقد تكلمنا عن هذا كلاماً مفصلاً وبيننا ما في هذه السورة العظيمة من الصفات،
وأصولها.

ونكمل اليوم إن شاء الله الكلام على ما سطره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عز وجل.

وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ

أي أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بما وصف الله عز وجل به نفسه في أعظم آية من كتاب الله عز وجل، لا يقصرون عنها ولا يتجاوزونها، والشيخ رحمه الله من فقهه أنه استفتح البيان والتفصيل بذكر سورة عظيمة من سور القرآن، هي أعظم سورة بعد سورة الفاتحة كما قلنا وهي تعدل ثلث القرآن وفيها أصول توحيد الأسماء والصفات بل وفيها التوحيد كله بأنواعه كلها، ثم أعقب ذلك بذكر أعظم آية في القرآن، وهي آية الكرسي، ليُعلم أن عقيدة أهل السنة والجماعة في الصفات تأصيلاً وتفصيلاً منصوص عليها في القرآن نصاً، فهي التي في كتاب الله عز وجل، بل منصوص عليها في أعظم القرآن، فأعظم القرآن إنما ذكر فيه التوحيد، وفُصِّل فيه توحيد الأسماء والصفات، وقد وصف الله في تلكم السورة وفي هذه الآية نفسه بأعظم صفات الكمال، ومحال أن يذكر الله عز وجل لعباده وصفه في تلكم السورة العظيمة التي تعدل ثلث القرآن، وفي أعظم آية من القرآن وهو يريد بها غير ظاهرها، ولا يُعلم عباده بذلك، فإن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، والمعلوم أن الاعتقاد يجب فوراً عند سماع النص، فلو كان المراد غير ظاهرها لبينه الله عز وجل، فلما ذكر الله عز وجل هذه الصفات العظمى ووصف نفسه بها ولم يبين لعباده أنه يريد بها غير ظاهرها علمنا يقيناً لا شك فيه أن ظاهرها هو المراد، بل لو تصفحنا القرآن كله فإننا لا نجد فيه إلا إثبات الصفات، ولا نجد دلالة واحدة على أن المراد بالصفات غير ظاهرها، مما يجعلنا نجزم أن الله عز وجل وصف نفسه بهذه الصفات وأن معناها هو ظاهرها على ما يليق بجلاله سبحانه وتعالى.

وآية الكرسي سميت بآية الكرسي لأنها اختصت من سائر القرآن بذكر الكرسي، فلم يذكر الكرسي إلا فيها، وهي أعظم آية في كتاب الله، كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ففي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي: (يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ -سؤال عظيم-، أتدري أي آية في كتاب الله معك أعظم؟ لأن أيتاً يحفظ القرآن، فقال أبي: الله ورسوله أعلم، -تأديباً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم- فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبا المنذر، أي آية في كتاب الله معك أعظم؟ قال: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، قال أبي: فضرب في صدري، وقال: ليهنك العلم أبا المنذر) وفي رواية: (والله ليهنك العلم أبا المنذر)، أي ليكن العلم لك هنيئاً فإن هذا هو العلم، فدل هذا الحديث على أن أعظم آية في كتاب الله هي آية الكرسي، وتقرر بهذا الحديث ما قررناه في الدرس السابق، أن القرآن يتفاضل، وقد فصلنا هذا وبيناه في مجلسنا الماضي، وإنما كانت آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله لأن فيها تقرير التوحيد، وهي أعظم الآيات التي جاءت فيها الصفات، وأصول الصفات، وكون آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله عز وجل يدل على أن أعظم معلوم هو التوحيد، توحيد الله سبحانه وتعالى، وأن إثبات الصفات من أعظم هذا العلم، أعني علم التوحيد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: كانت آية الكرسي أعظم آية في القرآن لأنها صفة الله عز وجل.

ففيها وصف ربنا سبحانه وتعالى، وصف ربنا فيها نفسه، وتعرف إلى خلقه سبحانه وتعالى، بوصف نفسه.

وآية الكرسي من عظمتها أن فيها اسم الله الأعظم، ففيها اسم الله الأعظم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن اسم الله الأعظم في ثلاث سور من القرآن: في سورة البقرة، وآل عمران، وطه) قال القاسم: فالتستها، إنه الحي القيوم. رواه الحاكم وذكره الألباني في الصحيحة.

وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن اسم الله الأعظم هو الحي.

وأقوى ما قيل في اسم الله الأعظم لا يخرج عن هذه الأسماء الثلاثة:

الله، الحي، القيوم، فمن جعل في دعائه هذه الأسماء الثلاثة، ويا ذا الجلال والإكرام، ولا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، فقد أتى بمجامع أسباب الإجابة القولية.

من جعل في دعائه هذه الأسماء الثلاثة: الله، الحي، القيوم، ويا ذا الجلال والإكرام، ولا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فقد أتى بمجامع أسباب الإجابة القولية.

فهذه الآية أعظم آية في كتاب الله عز وجل، فينبغي على المؤمن أن يعتني بحفظها، وبفهمها، واعتقاد ما فيها.

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)

يقول الله عز وجل: (اللَّهُ)، والله: هذا الاسم العظيم قد تقدم الكلام عليه في المجلس الماضي، والله هو المألوه سبحانه وتعالى.

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ): الله اسم تضمن جميع المحامد، وتضمن صفات الكمال لله، وقلنا: إنه يُعرَف به الرب سبحانه وتعالى، وتتبعه الأسماء.

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ): لا إله إلا هو: كالتفسير لاسم الله عز وجل، فإنه المألوه المستحق للعبادة، فلا إله إلا هو نفي للنظراء والأمثال، والإله هو الذي تأله القلوب عبادةً له، واستعانةً به، ورجاءً له، وخشيةً له، وإجلالاً له، وإكراماً له، ومحبةً له، وذلاً له، ولا يستحق كل هذا إلا الله سبحانه وتعالى.

فبدأ الله هذه الآية العظيمة بهذا الاسم العظيم، وهو (اللَّهُ)، فبدأ بإثبات العبادة له سبحانه وتعالى باسمه (اللَّهُ)، فإنه المعبود، ثم أعقب ذلك بقوله: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)، وفي هذه الجملة نفي استحقاق غير الله عز وجل للعبودية مهما عظم، وإثبات استحقاق العبودية لله وحده، فهو المتفرد بالإلهية سبحانه وتعالى.

(الْحَيُّ): هو سبحانه الحي، الذي له الحياة الذاتية الكاملة الدائمة التي ليس لها انقطاع ولا انتهاء، الله سبحانه وتعالى له الحياة الذاتية الكاملة، التي لا انقطاع لها ولا انتهاء، وليس هذا إلا الله سبحانه وتعالى، وله جميع معاني الحياة الكاملة، من السمع، والبصر، والقدرة، والإرادة، وغيرها.

ففي اسم الله الحي: كمال الأوصاف، فإن الأوصاف كلها تعود إلى هذا الاسم العظيم، وذكر هذا الاسم بعد قول الله عز وجل: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ): برهان قاطع على أن المستحق للعبادة هو الله سبحانه وتعالى، وأن غيره لا يستحق شيئاً من العبادة، لأن الذي يستحق أن يُعبد هو الحي حياة كاملة لا انتهاء لها ولا انقطاع وليس ذلك إلا الله كما قلنا، ولذلك لما مات النبي صلى الله عليه وسلم وزلزلت القلوب وخطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه خطبته العظيمة قال فيها: (من كان يعبد محمداً فإن محمداً صلى الله عليه وسلم قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت). رواه البخاري في الصحيح، فهذا المعنى الجليل في خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فيه أن الذي يستحق أن يُعبد هو الله، وأنه لا مخلوق يستحق أن يُعبد، فإن أشرف المخلوقات هو محمد صلى الله عليه وسلم، وأحب المخلوقات إلى الله هو محمد صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك محمد صلى الله عليه وسلم قد مات، فمع أنه أشرف المخلوقات لا يستحق أن يُعبد، لأن

الذي يموت لا يُعبد، بل الذي ينام لا يُعبد، بل الذي ينعس لا يُعبد، وإنما الذي يُعبد هو الحي حياة كاملة لا انقطاع لها ولا انتهاء وهو الله سبحانه وتعالى.

(الْقِيُومُ)، (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ): قال العلماء: القيوم على وزن فيعول، من القيام، فهو سبحانه القائم بأمر الخلق، وتديبرهم، وما من مخلوق إلا وإقامته بتدبير الله سبحانه وتعالى، يُحيي ويميت، ويخفض ويرفع، ويُعطي وينزع، ويبسط الرزق، ويدبر كل مخلوق، فجميع المخلوقات مفتقرة إليه سبحانه وتعالى، بأفرادها ومجموعها، وهو الغني بذاته سبحانه وتعالى.

ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره، ففي اسم القيوم كمال الأفعال.

إذن قلنا: في اسم الحي كمال الصفات، وفي اسم القيوم كمال الأفعال، قال شارح الطحاوية: فعلى هذين الاسمين يعني (الحي القيوم) مدار الأسماء الحسنی كلها، وإليها ترجع معانيها، فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، ولا يتخلف عنها صفة منها، فإذا كانت حياته سبحانه أكمل حياة وأتمها استلزم إثباتها إثبات كل كمال يُضادّ فيه كمال الحياة، وأما القيوم: فهو متضمن كمال غناه سبحانه، وكمال قدرته، فإنه القويم بنفسه، فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه، والمقيم لغيره، فلا قيام لغيره إلا بإقامته، فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال أتم انتظام، فالقيوم: هو القائم بخلقه بتدبير خلقه سبحانه وتعالى، ولا قيام لخلقه إلا به، فالخلق مفتقرون به، وهو الذي قام بنفسه سبحانه، فاستغنى عن جميع مخلوقاته، هذا معنى القيوم، فتضمن جميع كمال الأفعال.

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله عز وجل عن اسم القيوم: تدخل فيه جميع صفات الأفعال، لأنه القيوم الذي قام بنفسه سبحانه، واستغنى عن جميع مخلوقاته، وقام بجميع الموجودات، فأوجدها وأبقاها وأمدّها بجميع ما تحتاج إليه في وجودها وبقاءها.

وذكر هذا الاسم برهان ثانٍ قاطع على أن الذي يستحق العبادة هو الله، لأن الله هو الغني القائم بجميع الخلق، وجميع المخلوقات مفتقرة إلى الله، والمعبود هو الغني، أما الفقير فمحتاج، لا يُعبد، وكل الموجودات محتاجة إلى الله عز وجل، فلا تستحق شيئاً من العبادة.

(لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ): السّنة هي: النعاس، والفتور الذي يلحق الجسد ولكنه دون النوم، وفي الغالب: أنه مقدمة للنوم، فهو سبحانه كامل الحياة والقيومية لا يعتريه نقص ولا غفلة عن خلقه، فلا ينام ولا ينبغي له أن ينام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم، ولا يغيب عنه شيء، فهو القيوم الغالب، والمعلوم أن الذي ينام مغلوب مقهور، يغلبه النوم، ويقهره النوم، والله عز وجل غالب سبحانه وتعالى، حيّ قيوم، فلا ينام، بل ولا تأخذه سنة.

وكما قال العلماء: النوم يشغل المدبر عن تديبره، والله المثل الأعلى: الأب يقوم على البيت وعلى أولاده، لكن إذا نام انشغل عنهم، والنعاس يمنع المدبر من التدبير، لأنه يفتر ويغيب، وكل هذا منفي عن الله عز وجل.

فإن قال قائل لماذا لم يقل الله عز وجل لا يأخذه نوم؟، لماذا قال: لا تأخذه سنة ولا نوم؟، فنفي النعاس ونفي النوم، قلنا: لأن نفي أحدهما لا يستلزم نفي الآخر، إذ قد يرد النوم بدون مقدمات نعاس، قد ينام الإنسان بدون أن ينعس، وقد يرد النعاس ولا يوجد النوم، ولذلك نفي الأمران، **(لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ)**.

تلاحظ هنا أن الله عز وجل قال: **(لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ)**، فكرر (لا)، لم يقل: لا تأخذه سنة ونوم، قال: **(لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ)**، وذلك للدلالة على نفي كل واحد منهما بانفراده، وبمجموعهما، إذ لو سقطت (لا) الثانية لاحتل المعنى انتفاء الاجتماع فقط، يعني لو كانت لا تأخذه سنة ونوم لاحتل المعنى أنه لا تأخذه سنة ونوم معاً، ولذلك في اللغة يجوز أن تقول: ما قام زيد وخالد، بل أحدهما، يجوز في اللغة أن تقول: ما قام زيد وخالد، بل أحدهما، فيكون معنى ما قام زيد وخالد أي ما قاما معاً، بل قام أحدهما وقعد الآخر

لكن لا يجوز أن تقول: ما قام زيد ولا خالد بل أحدهما، لأنك إذا قلت ما قام زيد ولا خالد معنى ذلك ما قام كل واحد منهما بانفراده ولا قاما معاً

فتكرار (لا) هنا كان له أثر عظيم في المعنى ونفي (السنة والنوم) يتضمن كمال الحياة والقيومية، وكما تقدم مراراً أن النفي المتعلق بصفات الله عز وجل ليس نفيًا محضاً، بل يتضمن إثباتاً، ففي نفي السنة والنوم إثبات كمال الحياة لله عز وجل، والقيومية لله عز وجل.

(لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ): أي أن كل ما في السماوات مما علمناه وما لم نعلمه الله سبحانه وتعالى، وأن كل ما في الأرض مما علمناه وما لم نعلمه الله عز وجل، فهو ملك الله عز وجل، بغير شريك ولا نديد، وكما أنه الله مُلْكًا فهو له خلقاً تدبيراً، فما خلق شيئاً إلا الله، وما دام أنه الخالق المدبّر فهو المالك، وما دام أنه المالك فهو القاهر سبحانه وتعالى.

(لَهُ): قدم ما حقه التأخير للدلالة على الحصر، فالمملك التام لله سبحانه وتعالى.

(لَهُ مَا): (ما) الموصولة هنا من صيغ العموم، فما من شيء في الأرض ولا في السماء إلا وهو الله سبحانه وتعالى، وتضمنت الآية نفي الملكية التامة عن غير الله سبحانه وتعالى.

وفي هذا تقرير استحقاق الله عز وجل للعبودية دون غيره، فإنه المالك وغيره مملوك، والمملوك لا يستحق أن يُعبد، وإنما يُعبد المالك المملك التام سبحانه وتعالى.

وما من ملك لخلق إلا وهو موهوب وناقص، ما من ملك لخلق إلا وهو موهوب وهبه الله عز وجل، ملكه الله عز وجل، وهو أيضاً ناقص، فالمملك التام لله سبحانه وتعالى.

يقول الطبري: يقول أي يقول الله، وهذا معنى كلام الله عز وجل، فجميع ما في السماوات والأرض ملكي وخلقني فلا ينبغي أن يُعبد أحدٌ من خلقي غيري، وأنا مالكة.

فإن قال قائل: لماذا قال الله عز وجل: **(لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)**، ولم يقل: له السماوات وما فيهن والأرض وما فيهن؟

قلنا: لأن المقام مقام تقرير العبودية واستحقاق العبودية ولم يعبد أحد السماوات، ولم يعبد أحد الأرض، وإنما عُبد بعض ما في السماء وبعض ما في الأرض، فكأن الله يقول لمن يعقل: ما تعبد من دوني مملوك لي، فكيف يستحق العبادة؟

(مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ): (من) هنا استفهامية، أفادت ثلاثة أمور: الإنكار، والنفي، والتهديد.

الإنكار على من جعل شفعا يعبد من دون الله بحجة أنهم شفعا له عند الله، ونفي أن يشفع أحدٌ مهما كان عند الله بدون إذن الله عز وجل، وتهديد من يجروء على أن يزعم هذا الزعم.

والمعنى: لا يتجاسر أحد ولا ينبغي لأحد أن يتجاسر أن يشفع لأحد عند الله عز وجل إلا بإذن الله عز وجل في الشفاعة، وفي هذا ردّ على من يعبد غير الله عز وجل بحجة أنه وسيلة إلى الله يشفع له عند الله، المشركون كانوا يعبدون آلهتهم من دون الله ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ما نعبد الله إلا ليقربونا إلى الله زلفى، ومن ينتسبون إلى الإسلام اليوم من يقول هذا فيصرف العبادة لغير الله، ويقول هذا شفعي عند الله يدعو النبي صلى الله عليه وسلم ويقول إنما هو وسيلة، شافع لي عند الله عز وجل، وهذه الآية فيها رد وقطع لهذه الذريعة **(مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)**، فلن يشفع شافع إلا بإذنه، فهو سبحانه الذي سيُنعم على الشافع والمشفوع، ليرحم المشفوع، ويكرم الشافع، فكيف يُعبد الشافع الذي تُرجى شفاعته بإذن الله من دون الله؟! وهو عبد لن يشفع عند الله إلا بإذن الله! ولن يُكرم بالشفاعة إلا بإعطاء الله له هذا المقام، فلا يُعبد إلا الله سبحانه وتعالى، فما من شفيع إلا بعد إذنه سبحانه وتعالى.

وكما قلت في هذه الجملة سد ذرائع الشرك المنافي لقول الله عز وجل **(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)**.

والشفاعة كلها لله، لا يملكها منها أحدٌ شيئا، يعطيها الله لمن يرضى عنه ويأذن له، ليسفع لمن يرضى بأن يشفع له، الشفاعة كلها لله، لا يملك منها مخلوق ذرة، حتى النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك منها شيئا، والله عز وجل يعطيها لبعض عباده، من رضي عنه وأذن له بالشفاعة، ليسفع لمن رضي الله أن يشفع له، فالشفاعة مبتدؤها من الله ومنتهاها إلى الله، فلن يشفع أحد بغير إذن الله ورضاه، ولن يُشفع لأحد لا يرضى الله أن يُشفع له، والذي يدعو محمدا صلى الله عليه وسلم، ويعبد محمدا صلى الله عليه وسلم من دون الله نقض الأمرين، ولن يُشفع له، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لن يشفع لمشرك، وإنما شفاعته لأهل الكبائر من أمته، وله شفاعة عظيمة كما بيناه في كتاب التوحيد.

قال الله عز وجل: (يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا)

محمد صلى الله عليه وسلم عندما يريد أن يشفع يوم القيامة لا يستطيع أن يتكلم، في ذلك اليوم العظيم تقوم الملائكة صفاً لا يتكلمون ولا يستطيع النبي صلى الله عليه وسلم أن يتكلم حتى يسجد لله عز وجل، ويفتح عليه الله عز وجل بالمحمد، ثم يأذن له بالشفاعة، ويقال له اشفع، فيشفع صلى الله عليه وسلم.

وهذا من الأدلة القاطعة على أنه لا يجوز أن يُصرف شيء من العبادة لغير الله، فإن كل من يعبد معبوداً إنما يرجو خيره، وأن يدفع عنه الشر، وليس هذا إلا لله سبحانه وتعالى.

(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ): أي أنه سبحانه ذو العلم المحيط الذي لا يخفى عليه شيء، فعلمه سبحانه محيط بجميع الكائنات، بماضيها وحاضرها ومستقبلها، وما لم يكن فيها لو كان كيف يكون، فلا يعزب ولا يغيب عن علم الله عز وجل شيء، حتى يعلم سبحانه ديب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، ويعلم ديب النملة في جحرها، ويعلم حفيف الأشجار، ويعلم حركة الأسماك في ظلمات البحار، لا يعزب عن علمه شيء سبحانه وتعالى.

(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ): و (ما) كما قلنا تدل على العموم، من صيغ العموم، وكُثرت لتأكيد العموم، (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ)، فلا يخرج من هذا شيء أبداً.

طيب؛ ما معنى (مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ)؟

قال بعض العلماء: ما بين أيديهم: أي أمور الدنيا التي بين أيديهم الآن ويرونها ويعلمونها ولكنهم لا يحيطون بها، الآن أنت في المجلس هنا تعلم هذا المجلس، لكن لا يحيط علمك بالمجلس، وما خلفهم: أي أمور الآخرة التي أعلموا بها.

وقال بعض أهل العلم: ما بين أيديهم: يعني ما أمامهم وهو أمر الآخرة، وما خلفهم: أي ما يخلفونه وراءهم وهو أمر الدنيا، وفي هذا إشارة عظيمة، إلى أن الدنيا مهما عظمت فأنت تاركها وهي خلفك، وأن الآخرة هي التي أمامك، فالآخرة خير وأبقى، وهي التي أمام الإنسان، فالخاسر الخسران البين من أضاع ما أمامه اغتراراً بما خلفه، ومن خضع للدنيا وذلّ لها وترك ما أمره الله عز وجل به من أجلها.

وهذا أيضاً برهان قاطع على أن الذي يستحق أن يُعبد هو الله سبحانه وتعالى، فإنه يعلم العلم المحيط، ومن دونه لا يعلمون، إلا ما أعلمهم الله، وهو علمٌ محمّلٌ فهو ناقص، فكيف يستحق مخلوق هذا شأنه أن يُعبد من دون الله عز وجل؟

(وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ): فالله عز وجل علمه محيط بكل شيء، وتأمّل غير ناقص، أما المخلوقات فعلمها مكتسب موهوب يهبه الله عز وجل، كل مولود يولد وهو جاهل لا يعلم شيئاً والله يعلمه، ومع كونه موهوباً من الله فهو ناقص ليس فيه تمام ولا إحاطة، فالمخلوقون لا يحيطون بشيء من علمه، و(شيء) نكرة في سياق النفي، فتعم، تعم كل شيء، فمهما شرف المخلوق فإن علمه ناقص، لا يحيط بكل شيء، فلا يحيط المخلوق بشيء من معلوم الله عز وجل، فعلم المخلوقات كلها كنقطة في بحرٍ بالنسبة لعلم الله عز وجل، وما قولنا هذا إلا للتقريب وإلا فالأمر أكبر وأعظم، علم المخلوقات كلها ما هو إلا كنقطة في بحرٍ بالنسبة لعلم الله عز وجل، وهذا أقصى ما نذكره للتقريب، وإلا فحقيقة الأمر أقصى مما نستطيع أن نذكره، فالملائكة والأنبياء والبشر وغيرهم لا علم لهم إلا ما أعلمهم الله سبحانه وتعالى، فكما قلنا علمهم موهوب ناقص غير تام لا إحاطة فيه، ولا يحيطون بذاته وصفاته، وإنما يعلمون ما أعلمهم الله، والعلم للبشر كالماء للنبات، فيعطي الله عز وجل البشر من العلم من معلومه والعلم بصفاته ما يحيي قلوبهم، ويحققون به عبادتهم لله عز وجل.

(وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ): وسع: أي ملأ وأحاط بالسماوات والأرض، وقد أطبقت كلمات أهل السنة والجماعة بدءاً من الصحابة إلى يومنا على أن الكرسي هو موضع قديمي الرب سبحانه وتعالى، وقد جاء هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصح عن أبي موسى الأشعري كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ﷺ، ورواه ابن المنذر بإسناد صحيح، وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم معنى هذه الجملة: وسع كرسيه السماوات والأرض، فقد جاء عن أبي ذر

رضي الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكرسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده ما السماوات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، -ما مثل السماوات السبع والأرضين السبع إلا كمثل حلقة ملقاة في فلاة في صحراء واسعة- وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة) وقد جمع الشيخ الألباني رحمه الله وجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء فقد أحسن أيًا لإحسان إلى هذه الأمة في هذا الزمان، جمع طرق هذا الحديث في السلسلة الصحيحة جمعاً مستوعباً ثم قال: وجملة القول أن الحديث بهذه الطرق صحيح، والحديث خرج مخرج التفسير لقول الله عز وجل: وسع كرسيه السماوات والأرض.

(وَلَا يَتَّوَدُّهُ حِفْظُهُمَا): أي لا يتقله، ولا يشق عليه، ولا يكثره -والكارثة: -كما تعلمون- الحمل الشديد- حفظ السماوات والأرض ومن فيها ومن بينهما بل ذلك سهل عليه يسير سبحانه وتعالى، وهذا النفي: (وَلَا يَتَّوَدُّهُ حِفْظُهُمَا)، جارٍ على القاعدة، ليس نفيًا محضًا، بل تضمن كمال قدرته، وكمال حفظه سبحانه وتعالى، فإنه سبحانه مع حفظه للسماوات وما فيهن ومن فيهن، والأرض وما فيهن ومن فيهن، وما بين السماوات والأرض لا يتقل ذلك عليه، ولا يشق عليه، بل هو يسيرٌ عنده، فليس في قوته ضعف ولا في قدرته نقص سبحانه وتعالى، ليس في قدرته نقص فهو يحفظ السماوات والأرض ومن فيها وما بينهما وما بينهما، وليس في قوته ضعف سبحانه وتعالى فلا يتقله هذا الحفظ كما يتقل الحفظ الضعيف.

(وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ): العلي الذي ليس فوقه شيء، فله علو الذات، ولا يخرج عن قهره شيء، فله علو القهر، وليس فوق شرفه وعظمته شيء فله علو القدر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: واسمه العلي يفسر بهذين المعنيين، يفسر بأنه سبحانه أعلى من غيره قدرًا فهو أحق بصفات الكمال، ويفسر بأنه العالي عليهم بالقهر والغلبة، فيعود إلى أنه القادر عليهم، وهذا يتضمن كونه خالقًا لهم، ورباً لهم، وكلاهما -أي كلا المعنيين- يتضمن أنه نفسه فوق كل شيء، فلا شيء فوقه، فله علو الذات وعلو القهر وعلو القدر، وسيأتي إن شاء الله الكلام عن هذا الاسم وما فيه من الصفة في موطنه من هذا الكتاب العظيم النافع الذي يملأ القلب إيمانًا وتعظيمًا وإجلالًا لله عز وجل.

العظيم: ذو العظمة، الذي كل شيء دونه، فلا شيء أعظم منه مطلقًا سبحانه وتعالى، وكل شيء أمام عظمته صغير، وقول الله عز وجل: (وَهُوَ) يدل على الحصر، فالعلو المطلق والعظمة التامة إنما هي لله وَحْدَهُ.

وبهذا تعلم أن هذه الآية تقرر فيها التوحيد بأنواعه، فكلها براهين على أولها، وهو توحيد العبادة، الله لا إله إلا هو، ثم كل ما تلا هذا براهين قاطعة على توحيد العبادة، وعلى معنى الشهادة، وأنه لا معبود بحق إلا الله، ثم إن فيها توحيد الربوبية، فالله هو الذي يحفظ ما في السماوات وما في الأرض، وفيها توحيد الأسماء والصفات، وفيها كما قلنا: وصف الله نفسه بصفات يُعَلِّم معناها عند العرب ولم يقل لعباده: لا تعتقدوا معناها، بل معناها لا يعلمه إلا أنا، ولم يقل لهم: أولوها عن ظاهرها، ولم يدلهم على ذلك، فدل هذا دلالة قطعية لا يشك فيها من فهم كلام الله وعظم الله على أن الصفات يجب إثباتها على معانيها الظاهرة مع تنزيه الله عن التمثيل والتشبيه، ونفي التكليف، فهذا هو الذي في القرآن، وكان عليه سيد ولد عدنان وأجمع عليه سلف الأمة، والخير كله فيه، والخروج عن شيء منه انحراف عن صراط الله المستقيم.

وأهل السنة لم يقولوا إلا ما قال الله، والذي يعيب قولهم إنما يعيب قول الله سبحانه وتعالى، فالواجب على المؤمن أن يعتقد ما وصف الله به نفسه، والله أعلم بنفسه، وأرحم بعباده، وما كان الله ليضلّ عباده عن الحق تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وبهذا نختم الكلام عن هذه الآية، والمؤمن مطمئن القلب بأن إثبات الصفات على وجه التفصيل على ما جاء في الكتاب والسنة على معانيها الظاهرة على ما يليق بجلال الله عز وجل مع قطع الطمع عن الإحاطة وإدراك الكيفية ونفي التمثيل هو العقيدة الصحيحة التي جاءت في القرآن، ولم يأت غيرها، ويكفي هذا المؤمن ليلتزمها التزاماً تاماً ولا يرضى بأن يجحد عنها، فكيف وهي التي جاءت في سنة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأت غيرها، **نور على نور**، فكيف وهي التي اعتقدها أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وبقية الصحابة وأئمة التابعين، والأئمة الأربعة، وأئمة المسلمين، إلى أن حدثت البدع، أنوار تتلألأ تضيء للمؤمن طريق الحق، وينشرح بها صدره، ويعظم يقينه، فنسأل الله عز وجل أن يجعلنا ممن عظم ربنا سبحانه وتعالى، وصح اعتقاده، ودعا إلى تعظيم ربه وعلم الناس صفة الله كما علمه الله، ودعا إلى ذلك بالحسنى، وبذل نفسه وجهده وما يملكه ليعلم الناس صفة ربهم سبحانه وتعالى، ليعظموا الله، ويحققوا التوحيد.